

العنوان:	إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم
المؤلف الرئيسي:	قاضي، هشام
مؤلفين آخرين:	بن قويدر، عاشور(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2017
موقع:	ورقة
الصفحات:	1 - 64
رقم MD:	1008263
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة قاصدي مرباح - ورقلة
الكلية:	كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
الدولة:	الجزائر
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	أفلاطون، ارستوكليس بن ارستون، ت. 347 ق. م. ، ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ، العصر الإغريقي، الفلسفة الأفلاطونية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/1008263">http://search.mandumah.com/Record/1008263</a>

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

قاضي، هشام، و بن قويدر، عاشور. (2017). إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، ورقلة. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1008263>

إسلوب MLA

قاضي، هشام، و عاشور بن قويدر. "إشكالية المحبة بين أفلاطون وابن حزم" رسالة ماجستير. جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، ورقلة، 2017. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/1008263>

# الفصل الثاني: سؤال المحبة عند ابن حزم

المبحث الأول: في مفهوم الحب وأصوله.

المبحث الثاني: أعراض الحب وآفاته.

المبحث الثالث: ملامح الإبداع في فلسفة ابن حزم.

## تمهيد:

لم يكن ابن حزم الظاهري\* أول فلاسفة الفكر الإسلامي الباحثين في إشكالية المحبة، بل هناك الكثير من المثقفين العرب والمسلمين سبقوه إلى السير في هذا المضمار، ولا بد أن نشير هنا إلى الاهتمام الكبير الذي حظيت به هذه الإشكالية من طرف هؤلاء الرواد، كل على حسب الحقل المعرفي الذي اشتغل عليه، لدرجة جعلت الفكر الإسلامي يتميز عن غيره في هذه النقطة بالذات؛ إذ " قل أن حظيت أحوال الحب في آداب الأمم، على صعيد الدرس والبحث بمثل ما حظيت به في اللغة العربية، فهناك على الأقل بضع عشر رسالة ألّفت في الحب، تبحث في أصله وأسبابه، أو تنتظر في حدّه أو ماهيته، أو تفصل الكلام على أجناسه وأنواعه، أو تصف حالاته وترصد علاماته. أو تتبين فضائله وتطرّق إلى أحكامه بالإضافة إلى ما يتخلّل العشق من وصف لأحوال العاشقين المشهورين، وإيراد لعباراتهم وأقوالهم وذكر لأخبارهم ونوادرهم<sup>53</sup>."

ولعلّ من أبرز من سبقوا ابن حزم إلى الكتابة عن الحب، نذكر على سبيل المثال لا الحصر إخوان الصفا وخلان الوفا، وهم جماعة من المثقفين الموسوعيين، ذاع صيتهم في القرن الرابع للهجرة، ألّفوا رسالة في العشق موجودة ضمن رسائلهم المشهورة، و محمد بن داود الظاهري صاحب كتاب " الزهرة"، والجاحظ (792-888م) صاحب "رسالة القيّان"، وأبو حامد الغزالي (1058-1111م) الذي تحدّث عن المحبة و أفرد لها فصلاً خاصاً في كتابه " إحياء علوم الدين"، هذا إلى جانب فلاسفة آخرين مثل الفارابي (873-953م) والكندي (803-873م) وابن سينا (980-1038م) وغيرهم.

---

\* ولد ابن حزم سنة 994 م، بقرطبة، وتوفي سنة 1064 م، تبحّر في كلّ علم من العلوم التي كانت سائدة في زمانه، سواء العلوم النقلية، كعلوم الدين من فقه وحديث، أو علوم اللغة من نحو وشعر، أو العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق. من أهم مؤلفاته: " الفصل في الملل والأهواء والنحل"، "رسالة المفاضلة بين الصحابة"، "الأصول والفروع"، "الأخلاق والسير في مداواة النفوس"، "طوق الحمامة في الألفة والألف".

<sup>53</sup> - علي حرب، الحب والفناء: تأملات في المرأة والعشق والوجود، ط1 (بيروت: دار المناهل، 1990 م) ص 78.

فأبو عثمان الجاحظ الأديب الموسوعي يصف العشق قائلاً: " هو داء يصيب الرّوح ويشتمل على الجسم بالمجاورة، كما ينال الرّوح الضّعف في البطش والوهن في المرء ينهكه... فالعشق يتركّب من الحب والهوى، والمشاكلة والإلف، وله ابتداء في المصاعدة ووقوف إلى غاية، وهبوط في التّوليد إلى غاية الانحلال ووقف الملل" <sup>54</sup> .

وفي النصّ السابق نلاحظ بأنّ صاحب "البخلاء" يذكر أهم خصائص الحب وهي: الصّعود والهبوط، والمشاكلة والإلف، أي التّجانس الموجود بين طرفيه، ويشير إلى أحد أعراضه (الضّنى)، أي السّقم (المرض) الذي يبدو على العاشق في صورة نحول أو وهن . ولعلّ أبرز ظاهرة تتعلّق بإشكالية المحبّة، شغلت عقول العرب والمسلمين، قديماً وحديثاً، تلك الظاهرة العاطفية الغريبة التي تسمّى "الحب العذري"، التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الأول للهجرة في قبيلة تدعى "بني عذرة"، وهي قبيلة تقع في جنوب شبه الجزيرة العربية، عُرف شبابها بنمط غريب من الحب العفيف، المنزّه عن كل غاية.

وقد حفظ لنا تاريخ الأدب مغامرات الكثير من الشّعراء العشّاق، ونذكر من بين أبرز هؤلاء، "جميل بن معمر" الذي عشق "بثينة"، و"قيس بن الملوّح" الذي عشق "ليلى العامرية" و"عروة بن حزام" الذي عشق "عفراء".

كما أولى المتصوّفة اهتماماً كبيراً بإشكالية المحبّة، فقد " مضى الصّوفيّة في طريق الحب إلى أقصى آماده، فجعلوا حبّ السّالك غاية طريقهم، ونهاية مطافهم، ودعوا السّالك ألاّ ينطوي لغيره إلّا على الحبّ صافيّاً لكي تصفوا نفسه ويرتفع عنها حجاب الحس" <sup>55</sup> .

والسّؤال المطروح: كيف تعامل ابن حزم مع إشكالية حسّاسة ومتميّزة كإشكالية المحبّة وإلى أيّ مدى استطاع أن يقدّم فلسفة تتجاوز ما سبقها من فلسفات؟

**المبحث الأول: في مفهوم الحب وأصوله.**

<sup>1</sup> - أبو عثمان الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، ج1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م) ص 127 .

<sup>55</sup> - توفيق الطويل، الحب كمثّل أعلى للإنسان، مجلة العربي (مجلة تصدر عن وزارة الثقافة بدولة الكويت)، العدد 321، أوت 1985م، ص 67 .

## أ- مفهوم الحب:

بسط ابن حزم آراءه في الحب في كتابه المتميّز "طوق الحمامة في الألفة والألاف" وهو كتاب قلّ مثيله، وقد لاقى شهرة واسعة في أوساط المستشرقين الذين اهتموا به أيما اهتمام . يقول الأستاذ المرحوم "أحمد أمين" \* واصفا ابن حزم وكتابه طوق الحمامة مايلي: "وأما ابن حزم النّاثر فأكبر أثر أدبي له في النّثر كتابه (طوق الحمامة)، فهو كتاب فذ ترجم فيه لنفسه ودون خلجاتها ممّا يدلّ على أنّه حيّ النّفس، دقيق الحس. وقد علمنا أنّ أباه كان وزيرا كبيرا وأنّه هو نفسه كان وزيرا خطيرا، حتّى كنّ هُنَّ اللَّائِي علّمنه القرآن فلما شبّ أحبّ، ولوّعه الحب، وذاق ألم الضنّى، ودون كلّ ذلك في كتابه طوق الحمامة"<sup>56</sup>.

يرى ابن بأنّ الحب " اتّصال بين أجزاء النّفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرّفيع...على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي، ومجاورتها في هيئة تركيبها "<sup>57</sup>. أي أنّ الحب في نظره " يكون بين النّفوس التي كانت من أصل واحد في عالمها العلوي وعلى هيئة متقاربة ومتجاورة في تركيبها "<sup>58</sup>.

وبما أنّ الحب هو اتّصال بين نفوس، فهذا الأمر يحيل إلى أنّه لابدّ أن يكون في ذاته، أي حقيق به أن يكون منزّها عن كلّ غاية أو غرض " وهو بذلك يقول بما قال به الغزالي

---

\* أحمد أمين (1886-1954 م): أديب ومؤرخ ومفكر عربي مصري معاصر، غزير الإنتاج، موسوعي الثقافة، صاحب المؤلفات التي كان لها أثر كبير في الفكر العربي والدراسات الإسلامية، ونعني هنا على وجه الخصوص سلسلته الشهيرة: "فجر الإسلام"، "ضحى الإسلام"، "ظهر الإسلام" ومن مؤلفاته أيضا: "النقد الأدبي"، "فيض الخاطر"، "قصة الفلسفة الحديثة" (هذا الأخير ألفه بالإشتراك مع زكي نجيب محمود).

<sup>56</sup> - أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، ط 3 (القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2010 م) ص 166 .

<sup>57</sup> - ابن حزم، *طوق الحمامة في الألفة والألاف*، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، ط 6 (القاهرة: دار المعارف، 2001 م) ص

21.

<sup>58</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، *الحب العذري: نشأته وتطوره*، ط 1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2006 م)

ص 206 .

(1058-1111 م) من بعده... من أن الحب سرور بالمحبوب لذاته، لا لآته يضمن رغبة أو

يقضي شهوة<sup>59</sup>.

ثم يشير إلى فكرة كان قد أشار إليها معظم من خاضوا في هذا المضمار كالجاحظ وابن داود والغزالي، وهذه الفكرة هي فكرة المجانسة والمطابقة، فيفسر بها ذلك التطابق الذي يقع بين النفوس، أي بين المحب والمحبوب، إذ يقول: "وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال، والشكل دأبا يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس، وتأثير مشاهد، والتأثر في الأضداد والموافقة في الأنداد"<sup>60</sup>.

ويستدل ابن حزم عن موقفه هذا بتأكيده بأننا لا نجد شخصين متحابين إلا وبينهما تجانس ومشاكلة. وكلما كان التشابه بينهما كبيرا زادت المجانسة، وقويت المحبة، فاشتدت أكثر فأكثر. ويستحضر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"<sup>61</sup>. وهي الفكرة ذاتها التي قال بها أبو حامد الغزالي، فصاحب "المنقذ من الضلال" يرى أن من أسباب المحبة "المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ رُبَّ شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ، ولكن بمجرد تناسب الأرواح"<sup>62</sup>.

ولكن، لو كانت المجانسة هي سر المحبة بين النفوس، كما يرى ابن حزم لكانت نفساً كلّ عشيقين أو متحابين متساويين في درجة الحب والعشق، بينما التباين لا مناص منه، أي أن "أخص ما يمتاز به الحب أنه صلة بين طرفين أحدهما قوي دائماً والآخر ضعيف دائماً، أحدهما يدلّ ويتيه والآخر يُذلّ ويستكين، أحدهما يتحكم ويتجنّى والآخر يتوسّل ويتمنى، ولا سبيل إلى غير ذلك"<sup>63</sup>.

<sup>59</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، لمرجع سابق، ص 207 .

<sup>60</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 21 .

<sup>61</sup> - المصدر نفسه، ص 23 .

<sup>62</sup> - الغزالي، إحياء علوم الدين، د ط ، ج 4 (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د س) ص 292 .

<sup>63</sup> - طه حسين، من لغو الصيف إلى جد الشتاء، ط 1 (القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1961 م) ص 170 .

وقد وضّح ابن حزم قائلاً: " هذه لعمري معارضة صحيحة، ولكن نفس الذي لا يحب من يُحبّه مكتتفة الجهات ببعض الأعراض السّاترة والحجب المحيطة بها من الطّبائع الأرضيّة، فلم تحس بالجزء الذي كان متّصلاً بها قبل حلولها حيث هي، ولو تخلّصت لاستويا في المحبّة<sup>64</sup> .

إذن، فعلاقة الحب التي تجمع بين المتحابين تكون نتيجة للمشاكلة والموافقة بينهما في الطّبائع والأخلاق والصفّات، ويترتب على هذا نفي ابن حزم لأسباب أخرى قد تؤدي إلى الحب وحسن الصّورة.

يقول: " وأما العلّة التي توقع الحب أبداً في أكثر الأمر على الصورة الحسنة، فالظّاهر أنّ النّفس حسنة تولع بكل شيء حسن، وتميل إلى التّصاوير المتقنة، فهي إذا أرادت بعضها تثبّت فيه، فإن ميّزت وراءها شيئاً من أشكالها، اتّصلت وصحّت الحقيقة، وإن لم تميّز وراءها شيئاً من أشكالها، لم يتجاوز حُبّها الصّورة، وذلك هو الشّهوة<sup>65</sup> .

إنّه نصّ صريح يحاول صاحبه من خلاله التّمييز بين الحب والشّهوة، من وجهة نظره الخاصّة. فإذا كان الحب اتّصلاً بين النّفوس يتمّ عن طريق المجانسة والموافقة، فإنّ النّفس التي تقف عند حد الصّورة الحسنة هي نفس غير محبّة، والنّفس التي تخترق حُجب الصّورة الحسنة لترى فيها ما يوافقها ويروق لها هي نفس محبّة، فالفرق بين الحب والشّهوة واضح عند ابن حزم " فالحب يكون إذا فصلت الشّهوة وتجاوزت هذا الحد، ووافق الفصل اتّصال نفساني تشترك فيه الطّبائع مع النّفس... فالحب إذا شيء آخر غير الشّهوة وغير استحسان وإعجاب وهو أعمق من ذلك وأبعد في النّفس غوراً<sup>66</sup> .

<sup>64</sup> - ابن حزم، المصدر السابق، ص 22 .

<sup>65</sup> - المرجع نفسه، ص 24 .

<sup>66</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 209 .



## ب- أصول الحب:

يقصد ابن حزم بأصول الحب منبع المحبة أي ما يبعث الإنسان إلى الحب وما يدفع النفس البشرية ويهيئها للإصابة بسهم كوبيدون (سهم الحب) لعلّ أبرزها مايلي:

### 1- أن يحب الإنسان في النوم:

يرى ابن حزم أنّه من المحتمل - وإن كان هذا الاحتمال بعيدا - أن يحب الإنسان في النوم ويسرد قصة صديقه الذي أخبره بأنّه رأى في نومه جارية فأحبّها وهام بها " ولقد بقي أياّما كثيرة تزيد على الشّهر مغموما مهموما، لا يُهنئه شيءٌ وجداً " <sup>67</sup>.

ولعلّ حالة الحب في النّوم ليست سوى نتيجة للحرمان والكبت الذي قد يعاني منه الإنسان إمّا لنقص فيه ،أو لطبيعة المجتمع الذي يحمل عادات وتقاليد وأعراف تنتهك كلّ ما هو مطلب ذاتي عاطفي في الإنسان .

وقد انتبه ابن حزم نسبيا إلى هذا الأمر حين قال: " وهذا عندي من حديث النّفس وأضعائها، وداخل في باب التّمني وتخيل الفكر " <sup>68</sup> .

### 2- أن يحبّ الإنسان بالوصف:

يقول ابن حزم : " ومن غريب أصول العشق أن تقع المحبة بالوصف، دون المعاينة، وهذا أمر يُترقى منه إلى جميع الحب، فتكون المراسلة و المكاتبة، والهم والوجد، والسّهر على غير الإبصار فإنّ للحكايات ونعت المحاسن ، ووصف الأخبار تأثير في النّفس ظاهر " <sup>69</sup>.

فكثيرا ما نحب أشخاصا أو نستحسنهم دون أن نراهم أو نكلّمهم، بل لمجرد أن يصفهم لنا من هم مقربون منهم، غير أنّ ابن حزم يرى بأنّ هذا الضّرب من الحب غير مبني على

<sup>67</sup> - ابن حزم ،المصدر السابق،ص 36 .

<sup>68</sup> - المصدر نفسه،ص 37.

<sup>69</sup> - المصدر نفسه،ص 38.

أسس متينة، وكثيرا ما يجعل المُحبُّ يُصاب بصدمة وخيبة أمل تجاه من أحبه لآثته لم يجد فيه ما كان يريده بعد معاینته.

ويرى ابن حزم أيضا أنّ " أكثر ما يقع هذا في ربّات القصور المحجوبات من أهل البيوتات مع أقاربهنّ من الرّجال، وحب النّساء في هذا أثبت من حب الرّجال لضعفهنّ وسرعة إجابة طبائعهنّ إلى هذا الشّأن، وتمكّنه منهن "70.

### 3- أن يحب الإنسان من نظرة واحدة:

وقد يقع الحبّ من نظرة واحدة، وابن حزم يقسّم هذا النّوع من الحب إلى قسمين: " هو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي، ولا يدري لها اسما ولا مستقرا، والقسم الآخر أن يعشق المرء من يعرف اسمها ومكانها"71.

يرفض ابن حزم هذا النّوع من الحب ويحكم عليه بالفناء السّريع، ويصف صاحبه بقلة الصّبر وسرعة الملل، يقول " فمن أحبّ من نظرة واحدة وأسرع إلى علاقة من لمحة خاطرة، فهو دليل على قلة الصّبر، ومخبّر بسرعة السّلو، وشاهد الطّرافة والملل، وهكذا في جميع الأشياء، أسرعها نموّا أسرعها فناء، وأبطئها حدوثا أبطئها نفاذا"72.

### 4- أن يحب الإنسان بالمطاولة:

وهذا النّوع من الحب هو الذي يستحسنه صاحب الطوق ويقبله خلافا للنّوع السّابق، يقول: " ومن النّاس من لا تصحّ محبّته إلّا بعد طول المخافنة، وكثير المشاهدة ومتمادي الأنس، وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت وهذا مذهبي، وقد جاء في الأثر أنّ الله عز وجل قال للروح حين أمره أن يدخل جسد آدم، وهو فخّار فهاب وجزع: ادخل كرها واخرج كرها"73.

70- ابن حزم، المصدر السابق، ص 38.

71- أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 211.

72- ابن حزم، المصدر السابق، ص 43.

73- المصدر نفسه، ص 44.

ويعود ابن حزم، من باب التّذليل على تفضيله لهذا النّوع من الحب، إلى الحديث عن الحب من أوّل نظرة، فيبدي تعجبه ممن يدعون هذا النّوع الغريب من الحب، ويجعله ضرباً من الشّهوة، يقول في ذلك: "وأما ما يقع من أوّل وهلة ببعض أعراض الإستحسان الجسدي واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان، فهذا سرّ الشّهوة ومعناها على الحقيقة... ومن هذا دخل الغلط علي من يزعم أنّه يحب اثنين، ويعشق شخصين متغايرين، فإنّما هذا من جهة الشّهوة التي ذكرنا أنّها، وهي على المجاز تسمّى محبة لا على التّحقيق"<sup>74</sup>.

فإذا كانت هذه هي أهم دوافع الحب حسب صاحب الطوق، فما هي أهم أعراضه؟

---

<sup>74</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 45 .

## المبحث الثاني: أعراض الحب وآفاته.

### أ- أعراض الحب:

يقصد ابن حزم بأعراض الحب أحواله، أي أنّ العاشق في خضم ممارسته لفعل المحبة سوف ينتقل لا محالة من حال إلى حال، أي سوف تصادفه أحوال وأعراض سواء أكانت نابعة من إرادته أو خارجة عنها، ومن أبرز هذه الأحوال:

- |                    |             |
|--------------------|-------------|
| 1/ الوصل.          | 2/ طي السر. |
| 3/ الكشف والإذاعة. | 4/ الطاعة.  |
| 5/ القنوع.         | 6/ الوفاء.  |
| 7/ الضنى.          | 8/ الموت.   |

### 1- الوصل:

يصف ابن حزم حالة الوصل وصفا دقيقا، حيث يقول: بأنّه " حظّ رفيع، ومرتبّة سرّية ودرجة عالية وسعد طالع، بل هو الحياة المتجدّدة والعيش السنّي والسُرور الدائم" <sup>75</sup>. ويرى أيضا أنّ " من لذّذ معاني الوصل المواعيد، وإنّ للوعد المنتظر مكاناً لطيفا من شغاف القلوب" <sup>76</sup>.

ثمّ يشير إلى نقطة مهمة جدّا تستحق أن يقف عندها الباحث أو الدّارس متأمّلا وهي قوله: " ومن النّاس من يقول إنّ دوام الوصل يؤدي بالحب، وهذا هجين من القول، إنّما ذلك لأهل الملل، بل كلّما زاد وصلا زاد اتّصالا" <sup>77</sup>.

أي أنّ الوصل حسب ابن حزم يزيد في شحنة الحب لدى المتحابين حبّاً صادقا صافياً أمّا ما دون ذلك أو ما يسمّيه صاحب الطّوق أهل الملل، فلحظة وصال كفيلة لإطفاء لهيب الحب، ومؤذنة بالافتراق.

<sup>75</sup> - ابن حزم ، مصدر سابق، ص 90 .

<sup>76</sup> - المصدر نفسه، ص 91 .

<sup>77</sup> - المصدر نفسه، ص 92 .

## 2- طي السر:

من بين الأحوال التي قد تميّز المحب طيُّ السر والكتمان، أي " أن يُجهد المحب في

طي

سرّه وإخفاء أمره وأن يتصنّع الخلو في الحب، وقد يفلح ذلك فيجوز تدبيره على غير ذي الحس اللطيف، حتّى إذا استحكم فيه الحب وملك عليه أمره لم يلبث أن ينكشف السر، ويببدو الخفي، فيظهر الحب في حركاته ونظراته"<sup>78</sup>.

ولطي السر دوافع متعدّدة، كأن يرى المحب بأنّ الحب ضرب من السّفه والطّيش، ويتناقض مع العادات والتقاليد الجاري العمل بها والواجب احترامها، وربّما كان لطي السر أو الكتمان أسباب أخرى كالحياء الذي يتّصف به الإنسان " وربّما كان من أسباب الكتمان أيضا أن يرى المحبّ من محبوبه انحرافا وصدّا، ويكون ذا نفسٍ أبيّةٍ فيستتر بما يجد لئلا يشمت به عدوّ"<sup>79</sup>.

## 3- الكشف والإذاعة:

وكما بإمكان المحب أن يكتّم، بإمكانه أن يُذيع حُبّه لأسباب منها: " أن يريد صاحب هذا الفعل أن يتزيّ بزي المحبّين، ويدخل في عدادهم"<sup>80</sup>، وهذا السلوك يرفضه ابن حزم ويعتبره زيفا، وعملا يحطّ من قيمة الإنسان.

وقد يكون الكشف نابعا من " حديث ينتشر وأقاويل تفسوا توافق قلّة مبالاة من المحب بذلك، ورضى بظهور سرّه، إمّا لإعجاب وإمّا لاستظهار على بعض ما يؤمله"<sup>81</sup>.

وتحدث هذه الحالة لدى الرجال كما لدى النساء على السواء، أي أنّها ليست مقتصرة على جنس دون جنس آخر، يقول في هذا الصّدّد متحدّثا عن شيوع هذه الظّاهرة لدى النساء مثلا: "و قرأت في بعض أخبار الأعراب أنّ نساءهم لا يقنعن، ولا يصدّقن عشق عاشق حتّى

<sup>78</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 219 .

<sup>79</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 63 .

<sup>80</sup> - المصدر نفسه، ص 64 .

<sup>81</sup> - المصدر نفسه، ص 66 .

يشتهر، ويكشف حبه ويُجاهر و يُعلن ويُنوّه بذكرهِنَّ و لا أدري ما معنى هذا، على أنه يذكر عليهنّ العفاف وأيّ عفاف مع امرأة أقصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى<sup>82</sup> .

#### 4- الطّاعة:

وفي حديثه عن هذه الحالة يقول: "ومن عجيب ما يقع في الحب طاعة المحبّ لمحبيه، و صرفه طباعه قصراً إلى طباع من يُحبّه، وترى المرء شرس الخلق، صعب الشّكّيمة، جموح القيادة، ماضي العزيمة، حمي الأنف، أبي الخسف، فما هو إلّا أن يتنسّم نسيم الحب ويتورّط غمره، ويعوم في بحره، فتعود الشّراسة لياناً، والصّعوبة سهولة، والمضاء كلاله، والحميّة استسلاماً"<sup>83</sup>.

بمعنى آخر، إنّ الحب قد يغيّر من طباع المحب ويجعلها قسراً مجانية وموافقة بل ومنسجمة مع طباع المحبوب لدرجة أنّه قد يطيعه في أمور يستحيل عليه تقبّلها أو القيام بها.

وما فعله الشّاعر الأندلسي ابن الحدّاد (ت 480 هـ)، يقدّم صورة واضحة عن طاعة المحب للمحبوب؛ فابن الحدّاد هذا عشق فتاة نصرانية الدّيانة وهو مسلم. فلنسمعه وهو يكشف عن ولعه بالصّلبان والرّهبان والنّسّاك، ذلك الّولع الذي لم يكن لولا ولعه بحبيبته:

عساك بحق عساك	مُريحَة قلبي الشّاكي
فإنّ الحسن قد ولاّ	ك إحيائي واهلاكي
و أولعني بصلبانٍ	ورهبانٍ ونسّاكٍ
و لم آتِ: الكنائس عن	هوى فيهن لولاك <sup>84</sup>

<sup>82</sup>- ابن حزم، المصدر السابق، ص 27 .

<sup>83</sup>- المصدر نفسه، ص 68 .

<sup>84</sup>- أحمد عبد الستار الجواريا، مرجع سابق، ص 221 .

## 5- القنوع:

وهي حالة غالبا ما يصل إليها المحبُّ خاصّة إذا خاب أمله فيمن يُحب وفي ذلك يقول ابن حزم " ولأبدّ للمحب إذا حرم الوصل من القنوع بما يجد ، وإنّ في ذلك لمتعلاّ للنفس وشغلا للرجا وتجديدا للمنى، وبعض الرّاحة"<sup>85</sup>.

ومن أشكال القنوع - حسب ابن حزم دائما- الاكتفاء بزيارة المحبوب أو الاحتفاظ بشيء من أشياءه أو ذكرى من ذكرياته، يقول: " ومن القنوع أن يستتر الإنسان ويرضى ببعض آلات محبّوبه، وإن له من النفس لموقفنا حسنا، وإن لم يكن فيه إلّا ما قصّ الله تعالى علينا من قصّة ارتداد يعقوب بصيرا حيث شمّ قميص يوسف عليهما السّلام"<sup>86</sup>.

ويقول أيضا، في معرض حديثه عن أشكال القنوع: " و ما رأيت قطّ متعاشقين إلّا وهما يتهاديان خصل الشّعر مبخرة بالعنبر، مرشوشة بماء الورد، وقد جُمعت في أصلها بالمصطكى، وبالشمع الأبيض المصفى، ولُفّت في تطاريف الوشى والخد وما أشبه ذلك لتكون تذكرة عند البين"<sup>87</sup>.

## 6- الوفاء:

وعنه يقول ابن حزم: " ومن حميد الغرائز، وكريم الشّيم، وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء، وإنّه لمن أقوى الدّلائل، وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر"<sup>88</sup>. فهذا ابن زيدون ، الشّاعر الأندلسي الكبير الذي اشتهر بحبّه لـ " ولادة " .

يقول في نونيته الشّهيرة مخاطبا إيّاها:

لم نعتقد بعدكم غير الوفا لكمُ رأيا، ولم نتقلّد غيره دينًا

إلى أن يقول في نهاية قصيدته الطّويلة:

---

<sup>85</sup>-جودت مدلج، الحب في الأندلس: ظاهرة إجتماعية بجذور مشرقية، ط1 (بيروت: دار لسان العرب، 1985 م) ص

<sup>86</sup>- ابن حزم ،المصدر السابق ،ص ص- 129 - 130 .

<sup>87</sup>- المصدر نفسه، ص 130 .

<sup>88</sup>- المصدر نفسه، ص 109 .

دومي على العهد ما دمنا محافظة فالحز من دان إنصافا كما ديننا  
وللوفاء عند ابن حزم مراتب: أولها " أن يفى الإنسان لمن يفى له، وهذا فرض لازم، وحق واجب، على المحب والمحبوب... ثم مرتبة ثانية، وهو الوفاء لمن غدر، وهي للمحب دون المحبوب"<sup>89</sup>.

ويرى ابن حزم أن للوفاء شروط لازمة للطرفين معاً، أي المحب والمحبوب على حد سواء.

فعلى المحب " أن يحفظ عهد محبوبه و يرعى غيبته، و تستوي علانيته وسريته، ويطوي سره، وينشر خبره، ويغض على عيوبه، ويحسن أفعاله ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة، ويرضى بما حمله، ولا يكثر عليه بما ينفر منه"<sup>90</sup>.

وعلى المحبوب، إن كان مكافئاً له في المحبة، نفس ما على سابقه" و إن كان دونه فيها، فليس للمحب أن يكلفه الصعود إلى مرتبته، ولا له الاستشاطعة عليه بأن يسومه الاستواء معه في درجته، وبحسبه منه حينئذ كتمان خبره، وألاً يقابله بما يكره، ولا يخيفه به"<sup>91</sup>.

#### - الضنى:

يقصد ابن حزم بالضنى الأمراض والعلل التي تتطرق إلى جسم الإنسان المحب أو عقله، وهي إحدى أسوأ وأخطر انعكاسات الحب، ويحدث هذا غالباً عندما يبلغ حب المحب لمحبوبه درجات عليا كالنّيتيم أو الشّغف، يقول ابن حزم: "ولابد لكل محب صادق المودة، ممنوع الوصل... من أن يؤول إلى حدّ السقام والضنى والنحول، وربما أضجعه ذلك، وهذا الأمر كثير جداً، موجود أبدا"<sup>92</sup>. ويقول أيضاً: "وربما ترقّت إلى أن يغلب المرء على عقله، ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس"<sup>93</sup>.

<sup>89</sup> - ابن حزم ، مصدر سابق، ص-ص، 109 - 110.

<sup>90</sup> - المصدر نفسه، ص 112 .

<sup>91</sup> - المصدر نفسه، نفس الصفحة .

<sup>92</sup> - المصدر نفسه، ص 137 .

<sup>93</sup> - المصدر نفسه، ص 138 .



وفي معرض حديثنا عن الضنى يمكننا أن نختار أبيات شعريّة للشاعر الأندلسي "ابن  
عمار"، إذ يقول في إحدى قصائده:

قالو أضرّ بك الهوى فأجبتهم      يا حبّذا وحبّذا اضرارُهُ  
قلبي هو اختار السقام لجسمه      زياً فخلّوه وما يختاره  
عيرتموني بالنحول وإنّما      شرف المهّد أن ترقّ شفاره<sup>94</sup>

## 8- الموت:

وهو أكثر الحالات التي يصل إليها المحبّ تعاسة ومرارة، وهو من جانب آخر تعبير  
واضح ودليل قاطع على صدق المحب وعفّته في حبّه لمحبيه، يقول ابن حزم: "وقد علمنا  
أنّ كل ما له من أوّل فلا بُدّ له من آخر... وعاقبة كلّ حبّ إلى أحد الأمرين: إمّا احترام  
منيّة، وإمّا سلوّ حادث"<sup>95</sup>.

ولنا في تراثنا الأدبي ما يؤكّد هذا الطّرح، فالالتفات "إلى التّراث الأدبي العربي يؤيّد  
الفكرة نفسها حيث ارتبط الحب بالمحسوب والقدر المحتوم ارتباطاً وثيقاً.  
كلّنا يعرف الحديث المأثور: "من أحبّ فعفّ فمات، مات شهيداً" ... كما يعرف روايات  
الحب العذري التي تنتهي دوماً بموت العاشقين"<sup>96</sup>.

## ب- آفات الحب:

يقصد ابن حزم بآفات الحب المعوّقات والعراقيل التي قد تصادف المحب في مشواره  
العاطفي، وقد تؤثر حتى على المحبوب، وتكون إمّا نتيجة لعوامل ذاتيّة أو موضوعيّة. كما  
أنّها كثيراً ما تلعب دورها بامتياز في قطع العلاقة الحميمة بين الطّرفين المتحابين، وهذه  
الآفات هي:

1/ العاذل.      2/ الرّقيب.

<sup>94</sup> - جودت مدلج، مرجع سابق، ص 257 .

<sup>95</sup> - ابن حزم، المصدر السابق، ص 141 .

<sup>96</sup> - صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، ص 21 .

4/ الهجر .

3/ الواشي .

6/ السُّلُو .

5/ البين .

## 1- العادل:

العادل هو اللّائِم، والعَدَال عند ابن حزم أقسام " فأفضلهم صديق قد اسقطت مؤونة التَّحَفُّظ بينك وبينه، فعذله أفضل من كثير المساعدات... ولا سيّما إذا كان رفيقا في قوله، حسن التّوصّل إلى ما يريد من المعاني بلفظة عالما بالأوقات التي يؤكّد فيها النّهي وبالأحيان التي يزيد فيها الأمر، والسّاعات التي يكون فيها وقفا بين هذين"<sup>97</sup>.

وهناك صنف آخر من العَدَال، فمن العَدَال " عادل زاجر يُغري بالعدل، ولا يفيق من الملامة، وهو خطب شديد، وعبء ثقيل"<sup>98</sup>.

## 2- الرّقيب:

ومن آفات الحب أيضا الرّقيب، وابن حزم يصفه بأنّه " حُمى باطنة، وبرسام مُلَحّ، وفكّر مُكَب"<sup>99</sup>. وهو يقسم الرّقيب إلى أصناف " فأولهم رقيب حسن النّيّة... ومنهم رقيب فضولي... وهذان رقيبان على المتحابين كليهما، وهما أقلّ خطرا وأهون شرا ممّن يوكل بالرّقابة على المحبوب وهو الذي لا مفرّ من أذاه إلّا بترضيّة، فإن هو لم يرض كان على المحب أن يقنع بإشارة اللّحظ، وبالهمس وبالتّعريض بالقول"<sup>100</sup>.

ولا يكتف ابن حزم بتبيان هذه الأصناف من الرّقباء، بل يرى بأنّ أشد الرّقباء وطأة الرّقيب الذي امتحن الحب وذاق طعمه وخبره، فهذا النّوع من الرّقباء لا تفوته شاردة ولا واردة بين المتحابين إلّا وعرفها، وبالتالي أفسد ما بينهما.

<sup>97</sup> - ابن حزم ، مرجع سابق، ص 76 .

<sup>98</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري ، مرجع سابق، ص 222 .

<sup>99</sup> - ابن حزم. المصدر السابق، ص 80 .

<sup>100</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 223 .

### 3- الواشي:

الوشاية هي ضرب من النّيمة وابن حزم يرى بأنّها من أخطر الآفات التي تعترض الحب "والوشاة ضربان يتفاوت أذاهما : أحدهما واشٍ يسعى بين المتحابين ليقطع ما بينهما من أسباب المودة... أمّا الآخر فيسعى لقطع ما بين المتحابين حتّى يستأثر هو بالمحبوب وينفرد به"<sup>101</sup>.

ومن الواضح أنّ النوع الثّاني أخطر وأشدّ بلاءً من الأوّل، لأنّ الأوّل مُفسدٌ بطبعه، يهدم فقط من أجل الهدم، ولا غاية له من وراء ذلك، أمّا الثّاني فيهدم من أجل غاية، وغايته الاستئثار بالمحبوب وانتزاعه من أحضان من أحبه، فهو مثال للأنايّة و نموذج في استخدام الحيلة.

### 4- الهجر:

يرى ابن حزم بأنّه على أنواع: فأولّها هجر يوجبه تحفّظ من رقيب حاضرتهم هجر يوجبه التّدلّ، وهو هجر ألدّ من كثير الوصال، ولذلك لا يكون إلّا عن ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه.... فحينئذ يُظهر المحبوب هجرانا ليرى صبر محبّه

وهناك نوع آخر من الهجر، يشير إليه صاحب "الطوق"، يختلف عن سابقه وهو "هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من المحب"<sup>102</sup>.

وهذا الأخير أشدّ إيلاما من النوعين (الأوّل والثّاني)؛ فالنوعان الأوّل والثّاني يقعان نتيجة لعوامل موضوعية وذاتية، تتعلّق بالمحب و المحبوب على حدّ سواء، والأمل في الوصال بعدهما كبير جدّاً، ولذّة الوصال حينئذ يستحيل أن يصفها المتحابان. أمّا النوع الثّالث فتتجلّى شدّته في طوله، أي أنّ لحظة الوصل فيه تطول، فتسبّب ألماً وحسرة للمتحابين.

وهناك أنواع أخرى للهجر غير هذه الأنواع الثلاثة يذكرها ابن حزم، مثل الهجر الذي يتسبّب فيه الوشاة، والهجر الذي يأتي بعد الملل... الخ.

<sup>101</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 224 .

<sup>102</sup> - المرجع نفسه، ص 101 .

## 5- البين:

يصف ابن حزم البين قائلا: " ما شيء من دواهي الدنيا يعدل الافتراق، ولو سألت الأرواح به فضلا عن الدّموع كان قليلا"<sup>103</sup>. ويقسمه إلى أقسام: "أولها مدّة يوقن من صرامها وبالعودة عن قريب"<sup>104</sup>، وهذا النوع من البين يمكن أن نطلق عليه اسم "البين المؤقت" وآلام المحب فيه تكون مؤقتة أيضا، أي أنها تزول بزواله وانقضاءه.

وهناك نوع آخر من البين وهو "بين منع من اللقاء وتحضير على المحبوب من أن يراه مُحِبُّه... وإنّ هذا ليولد من الحزن والأسف غير قليل، ولقد جرّبناه فكان مرّا"<sup>105</sup>.

وهناك نوع ثالث من البين " يتعمّده المحبُّ بعدا عن قول الوشاة، وخوفا أن يكون بقاءه سببا إلى منع اللقاء"<sup>106</sup>.

و هناك أنواع أخرى، ولكن أخطر وأمرّ أنواع البين " بين الموت...إنّه هو المصيبة الحالة وقاصمة الظّهر، وداهية الدّهر، وهو الويل، وهو المغطّي على ظلمة اللّيل، وهو قاطع كلّ رجاء، وما حي كلّ طمع"<sup>107</sup>.

تجدر الإشارة إلى أنّ ابن حزم نفسه قد ذاق مرارة هذا النوع الأخير من البين، " فقد فجع بحبيبه "نَعْم" وأسى عليها أسىّ شديداً"<sup>108</sup>.

ويعقد ابن حزم مقارنة بين الهجر والبين محاولا الإجابة عن تساؤل مفاده: أيهما أشد؟ ثمّ يجيب بأنّ ذلك يعود إلى نفسيّة المحب، " فذو النّفس الأبيّة الألوّف الحنانه، الثّابتة على

<sup>103</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 117 .

<sup>104</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>105</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>106</sup> - المصدر نفسه، ص 118 .

<sup>107</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 230.

<sup>108</sup> - المرجع نفسه ، ص 230 .

العهد فلا شيء يعدل عنده مصيبة البين... أما ذو النفس التّوّاقة الكثيرة النّزوع، والتّطلّع القلق العزوف، فالهجر داؤه، وجالب حتفه، والبين له مُسلّة ومنساة<sup>109</sup>.

## 6- السّلو:

يتحدّث صاحب "الطّوق" عن السّلو قائلاً: "والسّلو المتولّد من الهجر وطوله إنّما هو كاليأس، يدخل على النّفس من بلوغها إلى أملها، فيفتر نزاعها، فلا تقوى رغبتها"<sup>110</sup>. وهو يقسم السّلو إلى ضربين: "سلو طبيعي وهو الذي يُسمّى النّسيان وهو فراغ القلب وخلو البال، ويتولّد من اليأس إذا تطاول البين أو تزايد الهجران... والضّرب الثّاني سلو تطبّعي يُكره المُحبُّ عليه نفسه وبصارعها ويجالدها حتّى تتصبّر ثمّ تسلو، وهو لا يحدث إلّا لأمر عظيم لا يصبر عليه الحر ولا يستقيم معه الحب، وليس على من سلا على هذا النّحو جريرة ولا يطقه في سلوه الدّم"<sup>111</sup>.

ويرى أنّ للسّلو أسباب منها الملل ورغبة الإنسان في الاستبدال وهي صفات مذمومة لا يعرف صاحبها معنى الحب الحقيقي.

## المبحث الثالث: ملامح الإبداع في فلسفة ابن حزم.

يقول ابن حزم معرباً عن رغبته في التّجديد ومعرضاً عن التّقليد ما يلي: "و دعني من أخبار الأعراب والمتقدّمين، فسبيلهم غير سبيلنا، وقد كثرت الأخبار عنهم، وما مذهبي أن أنظي مطيّة سواي، ولا أتخلّى بحلي مستعار"<sup>112</sup>، فما هي ملامح الإبداع في فلسفة ابن حزم في المحبة؟

<sup>109</sup> - ابن حزم، المصدر السابق، ص 125 .

<sup>110</sup> - ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والألاف، ص 141 .

<sup>111</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، الحب العذري: نشأته وتطوره، ص-ص، 233-234.

<sup>112</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 17 .

#### أ- على المستوى المنهجي:

إنّ القفزة النوعية التي حقّقها ابن حزم منهجيا في دراسته للحب، والتي تتمظهر في كتابه "طوق الحمامة"، تتمثل في استخدامه لمنهج يجمع "المشاهدة واستقراء الظواهر بالاستبطان والتأمل الذاتي، فجاء بحثه جامعا بين الحسنيين، سعة الإستقراء وشموله، وعمق التأمل وصدق فراسته"<sup>113</sup>.

هذه الميزة لا نجدها عند من سبقوه من الفلاسفة والمفكرين الذين تصدّوا لنفس الإشكالية سواءً المسلمين الذين غلبت على أبحاثهم النزعة الذاتية والبعد الأدبي (الجاحظ، ابن داود) والميتافيزيقية (إخوان الصفا)، أو غير المسلمين (كأفلاطون)؛ الذي لم يستطع الانعتاق كلياً من أغلال الأسطورة والمتخيّل، رغم ما في فلسفته من عمق واضح وسحرٍ أسر " والمدهش أيضاً أنّ الدارسين ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فاعترفوا لفيقه الأندلس بتقدّمه على العلماء المعاصرين باعتماده في دراسته الحبّ على (الملاحظة المباشرة) التي يعتمدون عليها في دراساتهم وتحليلاتهم، فهو في طوق الحمامة لا يخترع الأخبار اختراعا، ولا يبتكرها ابتكارا، إنّما يستمدّها ممّا رأى هو نفسه، أي من تجربته الذاتية، أو من مصادر الثقة"<sup>114</sup>.

لقد كتب ابن حزم انطلاقاً من " تجربته الذاتية أو تجارب معاصريه التي شهدها أو عرفها، وربّما نجد في الطوق صدق قراءات بعيدة، في ثقافات مختلفة، ولكنها خافتة وتأتي ممتزجة بتربة الأندلس، ومن خلال عادات أهله وحياتهم وتقاليدهم... فكتاب "طوق الحمامة" لقطات واقعية لحركة مؤلّفة، والذين حوله، في مجالات العاطفة، حيّة ودافئة، وتتضح إنسانية في كلّ جوانبها"<sup>115</sup>.

لم ينعكس المنهج الذي استخدمه ابن حزم إيجابيا على دراسته للمحبة فحسب، بل ساعد الباحثين والمؤرخين على معرفة الكثير من أخبار وأحوال أهل الأندلس في القرن

<sup>113</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق، ص 239 .

<sup>114</sup> - جودت مدلج، مرجع سابق، ص 267 .

<sup>115</sup> - الطاهر أحمد مكّي، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط 2 (القاهرة: مكتبة وهبه، 1977 م) ص 286 .

الحادي عشر الميلادي، فبفضل عملية المشاهدة واستقراء الظواهر تعرّف المؤرخون المتخصّصون والفاعلون الاجتماعيون على وضعية المرأة مثلاً في المجتمع الأندلسي آنذاك، وعلى الأحوال الشخصيّة للسّاسة والحكّام الأندلسيين، وبعض الشخصيّات العلميّة والأدبيّة الشهيرة، بل لا نبالغ كثيراً إذا قلنا بأنّ كتاب ابن حزم ليس مجرد رسالة في الحب بل هو كتاب في الأنثربولوجيا، من حيث أنّه حفظ الكثير من العادات والتقاليد والأعراف والسلوكات التي ميّزت المجتمع الأندلسي في القرن الحادي عشر للميلاد.

#### ب- على المستوى المعرفي:

تتجلّى ملامح الإبداع في فلسفة ابن حزم في المحبة على الصّعيد المعرفي من خلال إحاطته بمختلف جوانب هذه الإشكاليّة، برغم حساسيّتها وصعوبتها في الوقت نفسه، حيث يعود له الفضل في إقحام جملة من المشكلات والتساؤلات والأصول والأعراض والآفات التي تتعلّق بالحب، فحين نقرأ ما كتبه عن أصول الحب نلاحظ أنّه " أول من خصّ السّفير بباب مستقل في كتاب، وجاء قصيراً نسبياً... وما كان الحب أن يشيع في مجتمعات ما قبل وسائل الاتصال الحديثة، دون وسيط يذللّ صعابه، و يقوي وشائجه، ويحكم الصّلة بين طرفيه، وكلّ من جاؤوا بعده كانوا عالة عليه"<sup>116</sup>. فابن حزم يعدّ أول من انتبه إلى دور ما يسمّى ( السّفير ) أو ( ورسول الحب ) إذا جاز لنا استعمال هذا التّعبير، فنصح بحسن اختياره، " فهو دليل عقل المرء و بيده حياته وموته وسرّه وفضيحتة بعد الله تعالى"<sup>117</sup>.

وقد تأثّر به في هذه النّقطة بالذّات مجموعة من المفكّرين والأدباء في بلاد الأندلس (إسبانيا)، وهناك من الأدباء الإسبان من عنونوا مؤلّفاتهم ب(السّفير) تأثراً منهم بما كتبه ابن حزم في هذا المجال.

وكذلك، كان ابن حزم مبدعاً حين عالج إشكالية علاقة الحب بالشّهوة الجنسيّة بشيء من العمق والدقّة لا نجدهما حتّى عند أفلاطون ويظهر ذلك في تأكّيده بأنّ " الحب يكون أذا

<sup>116</sup> - المرجع نفسه، ص 373 .

<sup>117</sup> - أحمد عبد الستار الجوّاري، مرجع سابق ، ص 218 .

فصلت الشهوة، وتجاوزت هذا الحد، ووافق الفصل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس... فالحب إذا شيء آخر غير الشهوة وغير الإستحسان والإعجاب، وهو أعمق وأبعد في النفس غوراً<sup>118</sup>.

وكلام كهذا نجده متداولاً لدى بعض كبار علماء النفس المحدثين والمعاصرين، فقد نبّه مثلاً "إلى ما ردّته مدرسة التحليل النفسي في القرن العشرين من أنّ كلّ حبّ يُخفي وراءه كراهية في اللاشعور"<sup>119</sup>، وقد رأى المفكر العربي الدكتور "زكريا إبراهيم" بأنّ كتاب "طوق الحمامة" يمكن إدراجه "ضمن المحاولات المبكرة في علم النفس، لأنّ ابن حزم في دراسته للحب قد أبدى كثيراً من الملاحظات النفسية الدقيقة والآراء الفلسفية العميقة، وأول تلك الملاحظات بنظره هي ذلك التسلسل المنطقي في العرض"<sup>120</sup>.

كما لم يكن ابن حزم من المعجبين بظاهرة الحب العذري التي عرفها العرب، والتي أشرنا إليها سابقاً، بل نظر إليها نظرة ناقدة وفاحصة، دون أن يستسلم للأخبار المبالغ فيها عن أبطال ذلك النمط الغريب من الحب، وهذه الملاحظة انتبه إليها المفكر السوري "صادق جلال العظم" في "كتابه الحب والحب العذري"، حيث كتب يقول: "أين حقيقة العشاق العذريين من الأوهام التي ينسجها الكتّاب والمعلّقون حول البراءة والطّهارة والعفة؟ ألم يشبّوا بصواحبهنّ ويشهروا بهنّ؟ ألم تستمتع العشيقات بدورهنّ بهذا الهيام والتشبيب؟"<sup>121</sup>. ثمّ يشير إلى تفضّل ابن حزم لهذه الحقيقة، وينقل لنا فقرة من كتابه طوق الحمامة يقول فيها: "وقرأت في بعض أخبار الأعراب أنّ نساءهم لا يقنعن ولا يصدّقن عشق عاشقٍ لهنّ حتّى يشتهر ويكشف حُبّه ويجاهر ويعلن ويُنوّه بذكرهنّ ولا أدري ما معنى هذا، على أنّه يُذكر عنهنّ العفاف، وأيّ عفاف مع امرأة أقصى منهاها وسرورها الشّهرة في هذا المعنى"<sup>122</sup>.

<sup>118</sup> - المرجع نفسه، ص 209 .

<sup>119</sup> - جودت مدلج، مرجع سابق، ص 271 .

<sup>120</sup> - المرجع نفسه، ص 268 .

<sup>121</sup> - صادق جلال العظم، مرجع سابق، ص 85 .

<sup>122</sup> - ابن حزم، مصدر سابق، ص 67 .



هذه بعض ملامح الإبداع في فلسفة ابن حزم في المحبة، ولو قرأنا رائعته "طوق الحمامة" بتمعن وكررنا قراءتها قراءة تتوخى الإنصات للنص الحزمي، لاكتشفنا الكثير من الأفكار والآراء التي تفرّد بها وحده في هذا المضمار، لا عجب في ذلك فهو المثقف الموسوعي الذي طرق أبواب مختلف العلوم التي كانت سائدة في زمانه، وأجاد فيها تأليفا وإبداعا واستيعابا و تعليما.